دروس في نحو الجمل والمعاني للسداسي الثاني: **د. باديس لهويمل مارس ٢٠٢٠**

طلبة السنة الأولى ماستر أدب حديث ومعاصر

المحاضرة الأولى: نحو الجمل والمعاني : بحث في التعريف وواضع علم المعاني والغاية والموضوع والفائدة من الكلام. [١]

تعلمون أن علماء البلاغة العرب قسموا البلاغة إلى ثلاثة علوم علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وكل علم من هذه العلوم يختص بمسائل وقضايا بلاغية محددة

علم المعاني اختص بقضايا معينة تتعلق بتركيب الجملة ولذلك يمكن أن نطلق عليه علم التراكيب؛ فيختص بتركيب الكلمات داخل الجملة لأداء معان بلاغية جديدة.

وعلم البيان علم مختص بدلالات الألفاظ من حيث حقيقتها ومجازيتها ومن حيث الوضوح والخفاء، والتنوّع في هذه الدلالات له علاقة بتنوع المقامات والمعاني في نفس المتكلم ولذلك عرفه البلاغيون بكونه " معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة، في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليُحترز بالوقوف على ذلك عن الخطإ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[٢].

ولذلك قسموا علم البيان إلى تشبيه ومجاز وكناية

ثم جاء علم البديع علما تكميليا أي بعد مراعاة قضايا علم المعاني وعلم البيان يلجؤون لعلم البديع لإضافة الجانب التحسيني في الكلام فلكل نوع لفظي أو معنى وظيفته وقيمته الجمالية.

موضوعنا نحو الجمل والمعاني وهو لا يخرج عن قضايا علم المعاني ووظيفته في الكلام

عرّف السكاكي علم المعاني قال: «اعلم أنّ علم المعاني هو **تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان أو غيره ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطإ في مطابقة الكلام لما يقتضي الحال ذكره.**""[٣].

فالسكاكي هو واضع التعريفات النهائية والحقيقية لعلوم البلاغة

شرح التعريف: نعتمد في الشرح أربع نقاط أساسية تمثل تراكيب مفتاحية له"

١-تراكيب الكلام : يقصد بها التراكيب الفصيحة البليغة وما تتمتع به من وضوح في الدلالة والبيان .

٢-خواص التراكيب: أي الخاصة التي يتسم بها التركيب من وضوح في الدلالة ومن بيان في المعنى وما يتمتع به من خصائص دلالية يمكن أن ينتفع بها في مطابقة الكلام مع أحوال السامعين

٣-في الإفادة حديث عن تركيب الجملة وكيف يمكنها حمل المعنى إلى السامع ، والتراكيب اللغوية لا تتساوى في الحسن والقبح بل هناك تراكيب غاية في الفصاحة وتراكيب أقل منها فصاحة ووظيفة علم المعاني البحث في هذه التراكيب والمستويات الجمالية التي يتصف بها هذا التركيب عن غيره

سؤال: لماذا يدرس علم المعاني التراكيب وخصائصها ومواطن الجمال والقبح؟

ج: يدرس ذلك لغاية أن يُعرَف كيف يوفق المتكلم بين كلامه وأحوال السامعين وهذا هو تعريف البلاغة العربية ؛ "البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال". (ينظر مثلا الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، ص١١)

فكان علم المعاني أهم العلوم التي تهتم بها البلاغة العربية إذ له علاقة بمطابقة كلام المتكلم مع أحوال السامعين ويستند إلى أصول نحوية في تحديداته وينفتح بها على سياق الحال ومقاماته.

وأحوال السامعين متعددة: سعيد وحزين، جاهل وعالم، مرأة ورجل، سياق مدح وسياق ذم، مقام شكر ومقام تعزية، وهناك العالم بالشيء والذي لا يعلم به شيئا.

فالأحوال متعددة والحكمة تقتضي عدم التعامل مع كل هذه الأحوال بطريقة واحدة وإنما لابد أن ننوّع في كلامنا بما يتناسب مع كل طريقة على حدة، أي الذكي يكفيه من الكلام الإيجاز أما غير ذلك فيحتاز لمزيد تفصيل وبيان وتوضيح، وكذاك العالم بالشيء يحتاج إلى تأكيد بالقول ليقتنع عكس الجاهل بالشيء، وكلها قضايا يهتم بها علم المعاني.

ومن أهم قضاياه: الأساليب خبر وإنشاء، والحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والايجاز والإطناب والمساواة، والتعريف والتنكير.

ولكل قضية وظيفتها وأهميتها في الكلام، ولا بد من معرفتها لمعرفة كيفية توظيفها وما تحمله من معان في سياق النص.

٤-ليحترز بالوقف على ذلك عن الخطإ في مطابقة الكلام لما يقتضي الحال ذكره: يعني معرفة كل هذه القضايا وطرائق استعمالها لنعرف كيف نطابق بين كلامنا وأحوال السامعين.

ولمزيد شرح للتعريف يمكن العودة لكتاب الخطيب القزويني ، هذا البلاغي الفذ الذي وضع تلخيصا لمفتاح العلوم ثم شرحا للتلخيص، هو كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" وهو محاولة ناجعة لتقريب علم البلاغة التي حدّد معالمها السكاكي في مفتاحه فالإيضاح تلخيص وشرح لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

يقول في تعريفه لعلم المعاني:

"أصول وقواعد تتعلق بأحوال اللفظ العربي لكي نوفق بها مع مقتضى حال السّامع.....

لا يختلف تعريفه عن فكرة السكاكي؛ علم المعاني قواعد وقوانين تتصل بالتراكيب نتعرف إليها لكي نستفيد منها في مطابقة كلامنا مع أحوال السامعين.

من واضع علم المعاني في البلاغة: عبد القاهر الجرجاني يعدّ مؤسسا لعلم المعاني من خلال تناوله لقضاياه في كتاب دلائل الإعجاز، ولو وضعنا مقارنة بين كتاب الدلائل والمفتاح

فإننا واجدون كتاب دلائل الإعجاز نستمتع بما فيه وكأنه كتاب حديث نفهمه في حين نشعر بصعوبة كبيرة في فهم مصطلحات وتراكيب المفتاح.

ونجد في الدلائل روح الأديب الواضح والسلس في أسلوبه في حين مفتاح العلوم لغته أقرب إلى لغة المناطقة لغته جفة ومصطلحاته غامضة نوعا ما لكنه مرتب ترتيبا منطقيا.

الجرجاني يكثر من طرح الجمل والشواهد وعملية التمثيل حتى يستقر المعنى في ذهنك . وتفهم مقصد الكلام وهذا غير متوفر في كتاب مفتاح العلوم.

ومع ذلك لا يمكن الاستغناء عن "مفتاح العلوم" المفتاح فالسكاكي قدم لنا البلاغة في صورة علم مستقل له مصطلحاته وأقسامه .

الفضل للجرجاني في التأسيس للقضايا التي تناولها البلاغيون في علم المعاني، **فالأصل في علم المعاني نظرية النظم وقضاياها التي وضعها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز**. وما علم المعاني عند السّكاكي إلاّ ما اصطلح عليه الجرجاني بالنّظم، مع إضافات وتقليص للشواهد وتنظيم وتبويب يحسب للسكاكي، يقول"أحمد مطلوب":« وحينما قسّم السّكاكي البلاغة إلى علومها المعروفة أطلق مصطلح"علم المعاني" على الموضوعات التي سمّاها عبد القاهر نظما»[٤].

الغاية من وراء إيجاد علم المعاني :

البلاغة والفقه وأصول الفقه والتشريع والأحكام والنحو واللغة نشأت كلها لخدمة القرآن الكريم وفهم أسرار لغته والوقوف على مواطن إعجاز القرآن والسر من وراء ذلك.

ومهمة علم المعاني البحث في أسرار إعجاز القرآن الكريم، بالبحث في تراكيب القرآن الكريم وجمله، وبحث المعاني الثواني التي تتضمنها. وسياقات استعمالها ومقاصدها المختلفة.

ثم طالما أنّ القرآن عربي ولغته عربية فهذا لا يمنع من دراسة الشعر والنثر وما كتبه العرب لنستزيد معرفة ودراية بأساليب العربية وفنونها التي تعد معرفتها تقريبا لنا من لغة القرآن الكريم.

موضوعه : اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني.

وقد قسّم الجرجاني المعاني البلاغية إلى المعنى ومعنى المعنى فهناك معان أول ومعان ثوان، فالكلمات العربية أو التراكيب قد تستخدم في معانيها المتعارف عليها وقد تستخدم في معان تُفهم من وراء الكلام، وسياقات استخدامها.

قال الجرجاني المقصود بالمعاني الأول: المعنى الذي يفهم من ظاهر اللفظ مباشرة. أي الكلام العادي الذي يؤدي معنى مباشرا وهو معنى متفق بين الناس عليه، لا خلاف فيه ولا غموض ولا لإبهام. [٥].فالمعاني الأوّل هي مدلولات التراكيب مطلقا أي خارجة عن أي سياق كلامي أو مقامي، وهي بذلك تقابل المعاني الثواني وهي الأغراض التي يُساق لها الكلام ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثاني كرد الإنكار ودفع الشك»[٦].

وهناك نوع من المعاني تتجاوز ذلك وهي أن تفهم من ظاهر اللفظ معنى ثم يقودك المعنى إلى معنى ثان هو المقصود من وراء الكلام.

قال تعالى : "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"

نلحظ في التركيب "**من أحسن قولا**"..... المعنى الظاهر يستفهم عن أحسن قول يمكن أن نتمسك به

لكن هل الله سبحانه وتعالى يسألنا عن شيء يجهله وعليه فالاستفهام الظاهر غير مقصود بتاتا

بل يستفهم عن شيء يعرفه ويريد من السامع ان يعرفه ويصل إليه بنفسه

والمعنى: لا يوجد قول أحسن من القول الذي يدعوا إلى الله

المعنى الظاهر الاستفهام

المعنى الخفي : نفي أن يكون فيه قول أفضل من قول اله سبحانه وتعالى وهو معنة يفهم من وراء الكلام.

فأتوا بسورة من مثله معنى ظاهر فيه أمر غير مقصود

القصد الحقيقي: المعنى الثاني :طلب إتيان سورة بمثله لنفهم اننا لن نستطيع الإتيان بمقله

.

الجمل تحمل معان ظاهرة واضحة ثم تنقلها لمعان خفية هي المقصودة من الكلام .

علم المعاني إذن لا يبحث في المعاني الظاهرة بل في المعاني الثواني المعاني الاول يعرفها المتكلم بالفطرة ومن خلال استخدامه اللغة .

علم المعاني يبحث في خواص التراكيب من تقديم وتأخير وحذف وذكر وفصل ووصل وأساليب خبرية وإنشائية وكذا الخروج لا على مقتضى الظاهر والإلتفات واحوال الإسناد الخبري، و...، والمقصود من الكلام فيها، أي البحث في المعاني الخفية والثواني، إنه علم يدربنا للوصول إلي المعاني المضمرة، لنعرف المقصد على أحسن وجه.

وأصل نشأته كتابه دلائل الإعجاز للجرجاني التي تحدّث عن نظرية النظم وقضاياها موضوع محاضراتنا القادمة قبل تفصيل قضايا نحو الجمل والمعاني وهي نفسها قضايا علم المعاني مثلما تصوّرها الجرجاني في الدلائل والسكاكي في المفتاح ومن جاء بعدهما.

هوامش المحاضرة: د باديس لهويمل

استفدنا في هذه المحاضرة من محاضرة د محمد صلاح أبو حميدة في قناة الأزهر التعليمية ومن بعض مؤلفاتنا السابقة ومقالاتنا.

[1] استفدنا في هذه المحاضرة من محاضرة د محمد صلاح أبو حميدة في قناة الأزهر التعليمية ومن بعض مؤلفاتنا السابقة ومقالاتنا.

[2] مفتاح العلوم : تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٤٧.

٣(٣) مفتاح العلوم : تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٤٧.

[4] أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،(دط)، الجزء٣،١٩٨٧، ص٢٧٨؛ وينظر: أحمد مطلوب، حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط٢، ١٩٩٩، ص٩١.

[5].(ينظر: باديس لهويمل: كتاب مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٠، ص١١٢، ١١٣.

[6] خالد ميلاد: "المعنى عند البلاغين السكاكي نموذجا"، ضمن أعمال ندوة صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلّية الآداب، منوبة، تونس، المجلد٨، ١٩٩٢، ص١٦٢.